كامل كيلاني

أَسْرارُ "عَمَّار"



قالت شهرزاد

قالتْ « شَــهْرَزادُ »

بقــلم كامل كيـلانى

ليس فى الشّرْقِ ولا فى الغَرْبِ ، من يُنافس «شهْرَزادَ» فى ميزاتها النّادرةِ ، فقد سجّل لها التاريخُ ـ فيما سجّله من مَزاياها الباهرةِ ـ أنها أقْدَرُ مُحَدِّثة ، وأبرعُ راويةٍ للقصص ؛ بعد أن استطاعت ـ بفضْلِ عبقْرِيَّتها فى هذا المضمارِ ـ أن تُنْجِيَ رأسَهامن السَّيْفِ ألفَ مرّة ومرّة ، فى «ألْفِ ليلةٍ وليلةٍ» ! ..

وقد بُعِثت « شهْرَزادُ » فى هذه المجموعة من القصَص ، لِتُسامِرَ النّاشئةَ الحديثةَ بفُنونٍ من القصص ، تسْحَرُ القارئَ الصغيرَ بطَلاوَتِها وتَبْسُط له أمْثلةً طيِّبة من مَكارِمِ الأخلاقِ ؛ فيشُبُّ قارئُها ، وقد انطبعتْ نفْسُه على حُبِّ الفضيلة ، وإيثارِ الخيْر .

وهذه المجموعةُ هى ألمَعُ جوْهرةٍ فى عِقْدِ القصصِ العربية ، تنْقُلُ القارئَ بين أجْواءِ الشّرْقِ وأحلامه ، وأخْيِلَته العامرةِ بأسْبابِ البهْجةِ . شغفَتْ أمْرَ الناطقيــن بالضّادِ ، فأقبلوا عليها ..

وفتنت الأمَمَ الغربيّةَ ، فترجمتْها إلى لُغاتها ..

وها هى ذى تتجلّى فى أسْلوبِ «الكيلانىّ» ، السّهْلِ المُمْتَنِعِ : بديعةَ الإخراجِ ، مُهَذّبَةَ الحَواشى ، رفيعةَ الأهداف ، ناطقةَ الشخصيّاتِ .. تُخيِّل لقارئها أنه يعيشُ مع أبطالها ، ويُشارِكُهم فى آمالِهم وأحلامِهم ، فيَمضى فى مُطالعتِها ، مُشتاقًا إلى المَزيدِ دائمًا .

دار مكتبة الأطفال

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ رشاد كامل الكيلانى

القاهرة



١

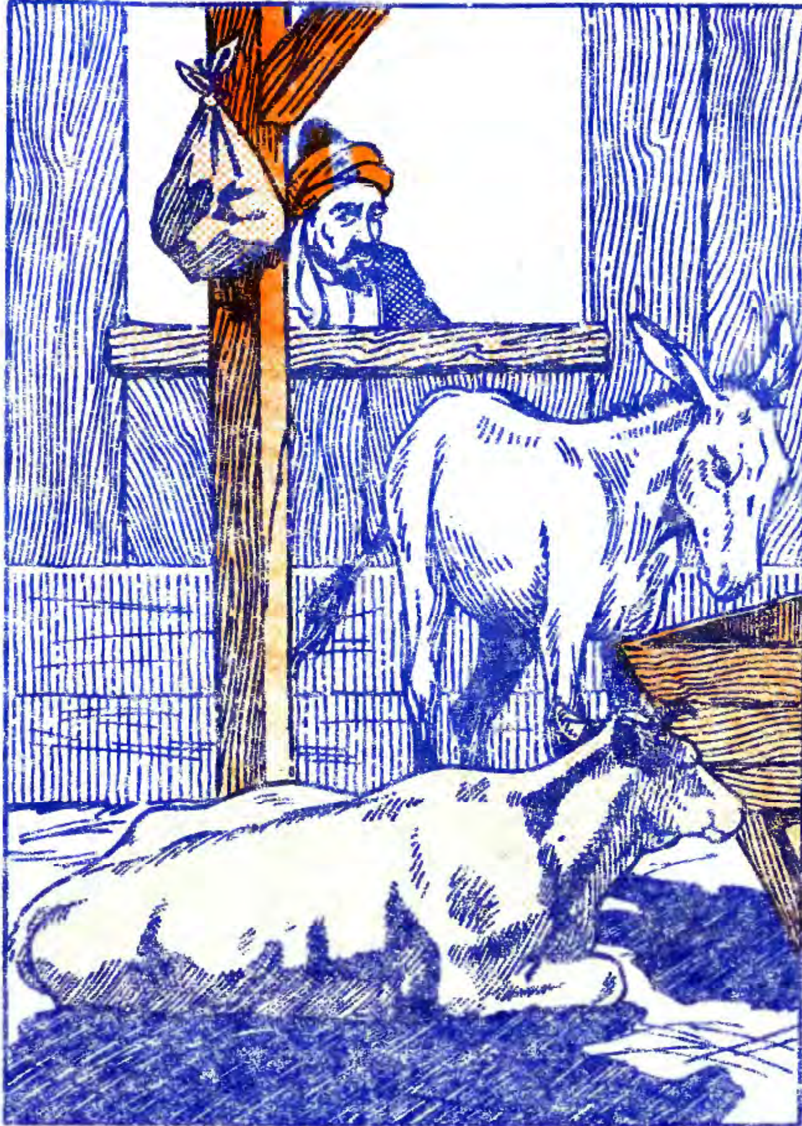
أحاديث « آزاد »

في عصرِ يومٍ من الأيامِ ، اجتمعتْ لُمَّةٌ من الصديقاتِ ، كانتْ بينَهنّ الصديقةُ : « شهرزادُ » ، وهيَ بنتُ الوزيرِ : « آزادَ » .

أخذتْ لُمّةُ الصديقاتِ العزيزاتِ تتبادلُ بعضَ القصصِ المُسلّياتِ ، وتتناقشُ في شئونٍ مختلفاتٍ .

الصديقاتُ العزيزاتُ طلبتْ من صديقتِهنّ « شهرزادَ » أنْ تحكيَ لهنّ حكايةً من الحكاياتِ .

استجابتْ « شهرزادُ » بنتُ الوزيرِ « آزادَ » لما تطلبُهُ الصديقاتُ . وبدأتْ تقولُ : « سأحكي لكُنّ يا صديقاتي حكايةً طريفةً ، حكاها لي أبي ذاتَ ليلةٍ . لقدْ تعوّدَ أبي أنْ يجلسَ معي ، في بعضِ الليالي ، للمؤانسةِ والمسامرةِ . تعوّدتُ منْ أبي في تلكَ الجلساتِ ، أنْ أستمتعَ بأحاديثِهِ المؤنساتِ . حكاياتُهُ دائمًا تعرّفُني بالكثيرِ مما في الحياةِ منْ شئونٍ وأسرارٍ . أبي لهُ خبرةٌ وتجربةٌ ، اكتسبَها بذكائِهِ ونشاطِهِ ، في عمرِهِ الطويلِ . القصةُ التي أحكي حوادثَها الآنَ ، قصةٌ مسليةٌ مفيدةٌ في آنٍ



٢

فِي مَزْرَعَةِ «عَمَّارٍ»

عاشَ فِي قَدِيمِ الزَّمانِ ،
سالِفِ العَصْرِ وَالأَوانِ ،
رَجُلٌ مِنْ كِبارِ الأَغْنِياءِ ،
مِنْ ذَوِي الجاهِ وَالسُّلْطانِ ،
أَصْحابِ المَعْرُوفِ وَالإِحْسانِ .
اسْمُهُ «عَمَّارُ بْنُ عِمْرانَ» ،
لا يَرْتَكِبُ الظُّلْمَ وَالعُدْوانَ ،
مَعَ كُلِّ إِنسانٍ أَوْ حَيَوانٍ ؛
كانَ يُقِيمُ فِي بَلْدَتِهِ الأَصِيلَةِ ،
مِنْ بِلادِ الرِّيفِ الجَمِيلَةِ .

«عمَّارٌ» لَهُ مَزْرَعَةٌ عامِرَةٌ بِحُقُولِ الخُضَرِ ، وَأَشْجارِ الفاكِهَةِ ، وحَدائِقِ الزُّهُورِ .
كانَ مُهْتَمًّا بِمَزْرَعَتِهِ ، يَتَعَهَّدُها بِنَفْسِهِ ، لِتَكُونَ عَلَى الدَّوامِ نامِيَةً . .
فِي أُمْسِيَةٍ مِنَ الأَماسِيِّ ، أَرادَ «عَمَّارٌ» أَنْ يَتَفَقَّدَ زَرِيبَةَ المَزْرَعَةِ .
خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ، وَمَشَى ، حَتَّى أَصْبَحَ قَرِيبًا مِنْ بابِ الزَّرِيبَةِ . .
أُذُنُ «عَمَّارٍ» الْتَقَطَتْ ، فِي هُدُوءِ اللَّيْلِ ، هَمَساتٍ تَنْبَعِثُ مِنْ هُناكَ ! .
عَرَفَ أَنَّ هٰذِهِ الهَمَساتِ المَسْمُوعَةَ ، لَيْسَتْ أَصْواتَ الخُفَراءِ أَوِ الحُرَّاسِ .
مَدَّ خُطاهُ إِلَى شُبَّاكِ الزَّرِيبَةِ ، وَأَنْصَتَ ، لِيَتَبَيَّنَ حَقِيقَةَ الأَمْرِ .

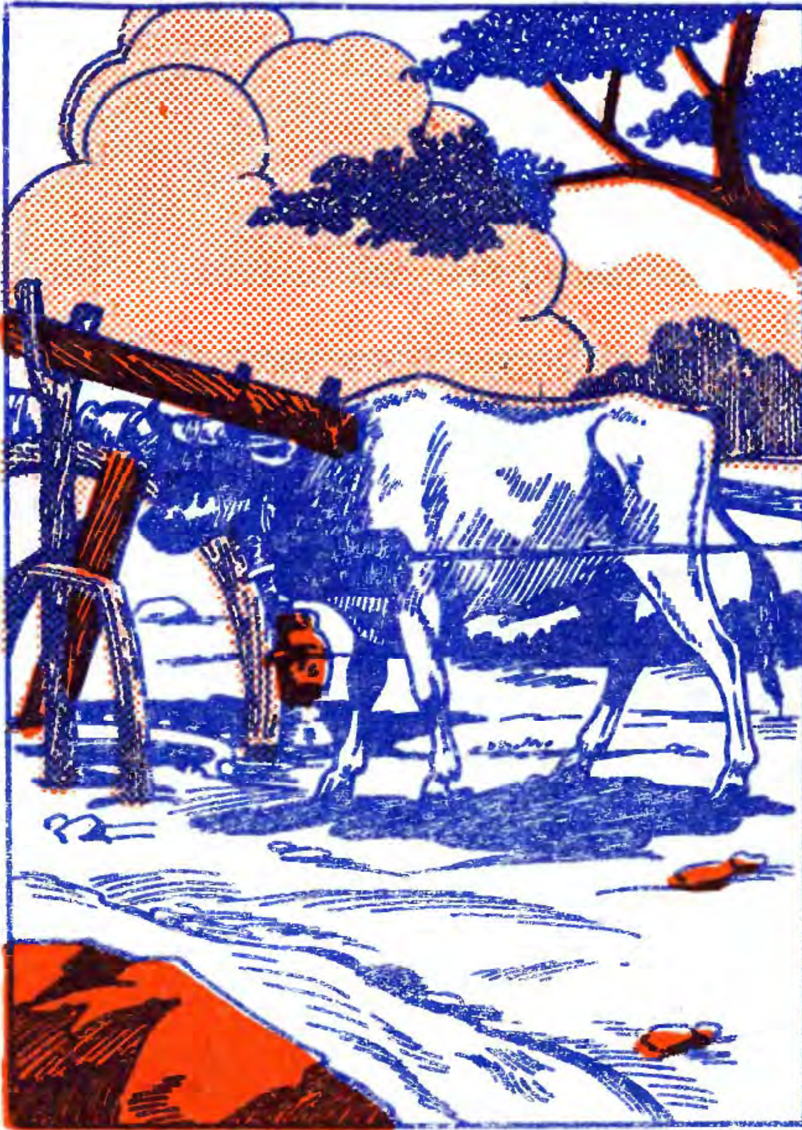


٣

الْحِمَارُ الْمَحْظُوظُ

كَانَ الْهَمْسُ الَّذِي سَمِعَهُ يَدُورُ
بَيْنَ الثَّوْرِ وَأَحَدِ الْحَمِيرِ .
اَلثَّوْرُ مُلْقًى على ظَهْرِ الْأَرْضِ ..
يَقُولُ لِلْحِمارِ وَهُوَ يَتَمَرَّغُ :
« أَنْتَ سَعِيدٌ فِي حَياتِكَ ..
يُقَدِّمُونَ لَكَ الشَّعِيرَ النَّظِيفَ ،
وَالْفُولَ الْمُنَقَّى ، والتِّبْنَ الْمُغَرْبَلَ ..
يَحْرِصُونَ على حُسْنِ هِنْدَامِكَ :
بَرْذَعَةٌ مُزَخْرَفَةٌ عَلَى ظَهْرِكَ :
نَعْلٌ حَدِيدِيَّةٌ فِي قَدَمِكَ :

لَيْسَ لَكَ فِي هٰذِهِ الْمَزْرَعَةِ أَيَّةُ مُهِمَّةٍ ، وَلا عَلَيْكَ أَيُّ عَمَلٍ .
فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ ، يَتْرُكُونَكَ تَرْتَعُ فِي الزَّرِيبَةِ ، كَأَنَّكَ فِي إِجازَةٍ .
إِنَّكَ - يا صاحِبِي - تَنامُ كَما تَشاءُ ، وَتَصْحُو مِنْ نَوْمِكَ كَما تَشاءُ .
لا يُزْعِجُكَ مِنَ الْحُرّاسِ أَحَدٌ ، وَلَا تَخافُ أَنْ يَضْرِبَكَ أَحَدٌ .
فِي بَعْضِ الْأَيّامِ ، يَأْتُونَ لِيُنَظِّفُوكَ ، وَلِيَضَعُوا عَلَى ظَهْرِكَ الْبَرْذَعَةَ .
يَقُودُونَكَ إِلَى حَيْثُ يَقِفُ صاحِبُ الْمَزْرَعَةِ ، لِتَكُونَ رَكُوبَةً لَهُ .
تَتَنَزَّهُ مَعَهُ فِي طُرُقاتِ الْحُقُولِ ، ثُمَّ تَعُودُ مِنَ النُّزْهَةِ بِلا تَعَبٍ .



٤

مَتاعِبُ الثَّوْرِ

سَكَتَ الثَّوْرُ بِضْعَ لَحَظاتٍ ،
اِضْطَجَعَ عَلَى جَنْبِهِ ، ثُمَّ قالَ :
« أَنا عَلَى العَكْسِ مِنْكَ . .
لَسْتُ مِثْلَكَ - يا أَخِي - الحِمارَ .
إِذا لاحَ الفَجْرُ بِنُورِهِ ،
ظَهَرَ أَمامَ عَيْنِي حارِسُ المَزْرَعَةِ ،
وَأَقْبَلَ عَلَيَّ يَتَحَسَّسُ جَنْبِي بِقُوَّةٍ ،
ثُمَّ يَذْهَبُ بِي لِأَجُرَّ المِحْراثَ ،
أَوْ يَجْعَلُنِي أُدِيرُ عَجَلَةَ السّاقِيَةِ ،
أَوْ يَسُوقُنِي لِكَيْ أَلُفَّ بِالطّاحُونِ !

أَخْرُجُ مِنَ الزَّرِيبَةِ مَعَ الشَّمْسِ ، وَأَبْقَى مَعَها : مِنْ مَشْرِقِها إِلَى مَغْرِبِها .
أَغْلَبُ ساعاتِ النَّهارِ بِطُولِهِ ، أَقْضِيها فِي لَفٍّ وَدَوَرانٍ ، دُونَ انْقِطاعٍ .
يَوْمِي كُلُّهُ عَمَلٌ شاقٌّ مُتَواصِلٌ فِي الطّاحُونِ ، أُعانِي مِنْهُ أَشَدَّ الإِرْهاقِ .
إِنِّي أَرْجِعُ إِلَى الزَّرِيبَةِ ، آخِرَ النَّهارِ ، وَأَنا مَهْدُودٌ مَكْدُودٌ .
أَمّا طَعامِي اليَوْمِيُّ ، فَلا عِنايَةَ بِتَنْظِيفِهِ ، أَوْ غَرْبَلَتِهِ ، أَوْ تَنْقِيَتِهِ .
لا تَظُنَّنِي أَحْسُدُكَ عَلَى حَظِّكَ السَّعِيدِ ، فِي حَياتِكَ النّاعِمَةِ المُرَفَّهَةِ .
لَيْتَنِي - يا صاحِبِي - حِمارًا مِثْلَكَ أَنْتَ ، أَيُّها الحَيَوانُ المَحْظُوظُ ! .



٥

حِيلَةُ الْحِمارِ

دَلْدَلَ الْحِمارُ أُذُنَيْهِ الطَّوِيلَتَيْنِ ،
تَأَلَّمَ لِشَكْوَى صاحِبِهِ الثَّوْرِ .
قالَ لَهُ ، بَعْدَ أَنْ فَكَّرَ :
« أَلَيْسَ مِنْ حِيلَةٍ تُخَلِّصُكَ ؟
لا تَرْضَ بِالَّذِي أَنْتَ فِيهِ .
حَتَّى مَتَى أَنْتَ مُسْتَسْلِمٌ ؟ »
اَلثَّوْرُ عَجِبَ لِقَوْلِ الْحِمارِ . .
ماذا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَ لِنَفْسِهِ ؟
أَيَّةُ حِيلَةٍ لَهُ يَقُومُ بِها ؟
لا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى عَمَلِ شَيْءٍ !

اَلْحِمارُ لَمْ يَقْتَنِعْ بِأَنْ يَظَلَّ الثَّوْرُ فِي حالَتِهِ الْبائِسَةِ الْمُهِينَةِ الَّتِي يَحْياها . فَكَّرَ ، ثُمَّ قالَ لِصاحِبِهِ : « عِنْدِي لَكَ رَأْيٌ فِي مُعالَجَةِ مُشْكِلَتِكَ الْعَوِيصَةِ . سَأَعْرِضُ رَأْيِي عَلَيْكَ ، يا صاحِبِي الْعَزِيزَ ، وَأَنْتَ حُرٌّ فِي قَبُولِهِ ، أَوْ رَفْضِهِ . »
اَلثَّوْرُ قالَ : « لا أَشُكُّ فِي صِدْقِ مَوَدَّتِكَ ، وَخُلُوصِ نِيَّتِكَ . ماذا تَرَى ؟ »
اَلْحِمارُ قالَ : « عَلَيْكَ أَنْ تَتَصَنَّعَ الْمَرَضَ ، وَتَتَظاهَرَ لِلْحارِسِ بِالضَّعْفِ . »
اعْلَمْ أَنَّ الْحارِسَ لا يُرِيدُكَ إِلَّا قَوِيًّا مُعافًى ، فِيكَ قُدْرَةٌ عَلَى الْعَمَلِ .
إِذا لَمْ يَجِدْكَ كَما يُرِيدُ ، تَرَكَكَ وَشَأْنَكَ ، وَمَضَى يَبْحَثُ عَنْ بَدِيلٍ .

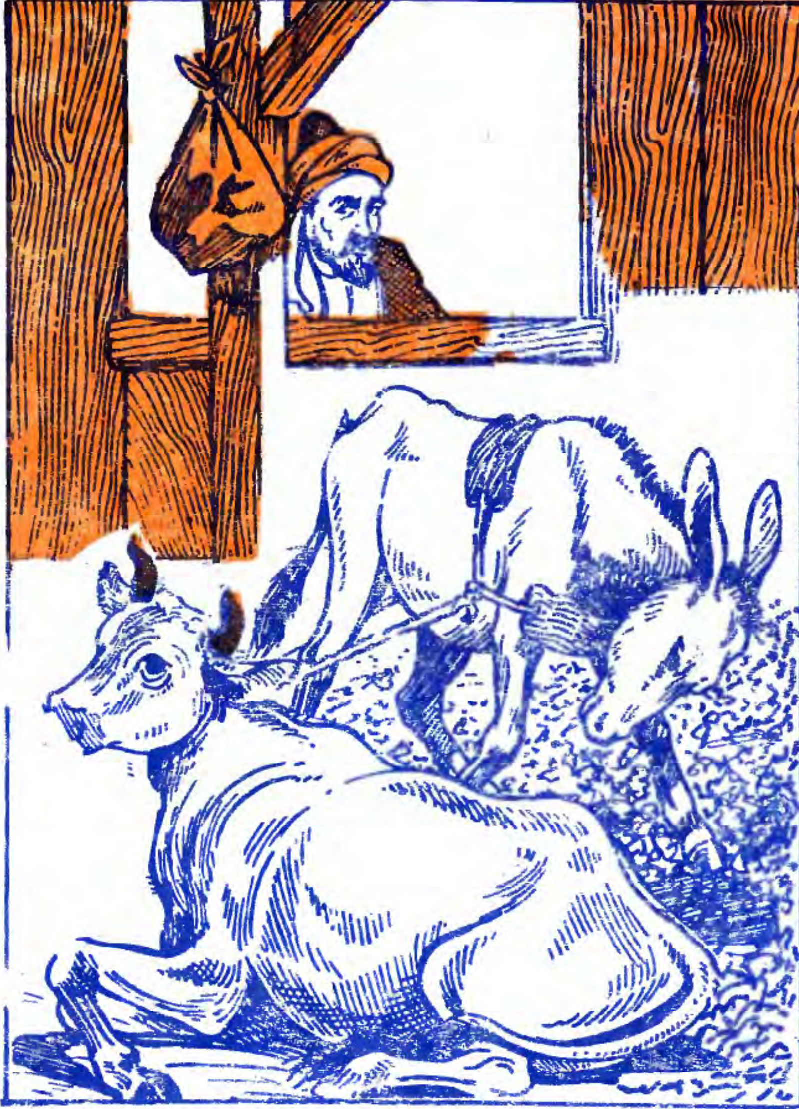


٦

الْجانِي عَلَى نَفْسِهِ

اَلثَّوْرُ فَكَّرَ مَلِيًّا فِي الْأَمْرِ .
اِقْتَنَعَ بِصَوَابِ ذٰلِكَ الرَّأْيِ .
تَصَنَّعَ الْمَرَضَ وَشِدَّةَ الضَّعْفِ .
جاءَ الْحارِسُ فِي مَطْلَعِ الصَّباحِ .
وَجَدَ الثَّوْرَ عاجِزًا عَنِ الْحَرَكَةِ .
ذَهَبَ الْحارِسُ إِلَى « عَمّارٍ » .
أَخْبَرَهُ بِأَنَّ الثَّوْرَ مَرِيضٌ .
« عَمّارٌ » فَهِمَ السِّرَّ الْخَفِيَّ .
عَرَفَ سَرِيعًا حِيلَةَ ثَوْرِ الْمَزْرَعَةِ :
الثَّوْرُ نَفَّذَ رَأْيَ صاحِبِهِ الْحِمارِ .

« عَمّارٌ » قالَ لِحارِسِ الْمَزْرَعَةِ : « اُتْرُكِ الثَّوْرَ فِي الزَّرِيبَةِ ، حَتَّى يَصِحَّ . »
اَلْحارِسُ قالَ : « نَحْنُ مُحْتاجُونَ فِي هٰذا الْيَوْمِ إِلَى تَدْوِيرِ الطّاحُونِ . »
« عَمّارٌ » قالَ : « أَخْرِجِ الْحِمارَ مِنَ الزَّرِيبَةِ ، وَعَلِّقْهُ مَكانَ الثَّوْرِ . »
حارِسُ الْمَزْرَعَةِ ذَهَبَ إِلَى الزَّرِيبَةِ ، وَأَخْرَجَ مِنْها الْحِمارَ ، كَما أَرادَ « عَمّارٌ » .
اَلْحِمارُ وَجَدَ نَفْسَهُ مَسُوقًا بِيَدِ الْحارِسِ إِلَى الطّاحُونِ ، مُعَلَّقًا فِيهِ ، لِيُدَوِّرَهُ .
قالَ لِنَفْسِهِ ، وَهُوَ يُدَوِّرُ الطّاحُونَ ، وَيَقْضِي أَشْأَمَ يَوْمٍ مَرَّ بِهِ فِي حَياتِهِ :
« ما لِي أَنا وَلِلثَّوْرِ ؟! لِماذا أَتَدَخَّلُ فِي شَأْنِهِ ؟ أَنا الْجانِي عَلَى نَفْسِي ! »



٧

حَدِيثُ الْمَساءِ

عادَ الحِمارُ فِي الْمَساءِ .
كانَ التَّعَبُ قَدْ حَلَّ عَلَيْهِ .
أَرْهَقَهُ طُولُ اللَّفِّ وَالدَّوَرانِ .
الْتَقَى بِجانِبِ صاحِبِهِ الثَّوْرِ .
وَجَدَهُ فِي أَحْسَنِ حالٍ :
صَحِيحَ الْجِسْمِ ، مُرْتاحَ الْبالِ .
اَلْحِمارُ جَعَلَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ :
« هَلْ أَرْضَى بِما حَصَلَ لِي ؟
تُرَى ماذا يَحْدُثُ فِي غَدٍ ؟
هَلْ أَسْتَمِرُّ أُدَوِّرُ الطَّاحُونَ ؟ »

اَلْحِمارُ فَكَّرَ فِي حِيلَةٍ يَتَخَلَّصُ بِها مِنَ الْوَرْطَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيها الْيَوْمَ .
اَلثَّوْرُ وَجَدَ صاحِبَهُ الْحِمارَ ساهِمًا ، مَهْمُومَ النَّفْسِ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ :
« مالِي أَراكَ اللَّيْلَةَ عَلَى غَيْرِ ما تَعَوَّدْتُ مِنْكَ ؟ أَخْبِرْنِي : ماذا يَشْغَلُكَ ؟ »
اَلْحِمارُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُخْبِرَ صاحِبَهُ ، بِأَنَّهُ دَوَّرَ الطَّاحُونَ ، طُولَ الْيَوْمِ ..
قالَ لِلثَّوْرِ : « اسْتَعِدَّ لِلْخُرُوجِ مَعَ الْحارِسِ ، صَباحَ غَدٍ ، إِلَى الْمَزْرَعَةِ .
عَلَيْكَ أَنْ تَنْشَطَ ، وَأَنْ تُؤَدِّيَ عَمَلَكَ ، كَما كُنْتَ تُؤَدِّيهِ قَبْلَ الْيَوْمِ .
أَحْسَنُ لَكَ - يا صاحِبِي - أَنْ تَقْبَلَ نُصْحِي ، وَأَنْ تُنَفِّذَ ما أُشِيرُ عَلَيْكَ بِهِ ! »



٨

نَصِيحَةُ الْحِمارِ

اَلثَّوْرُ قالَ لِصاحِبِهِ الْحِمارِ :
« ما هٰذا الَّذِى تَقُولُ ؟
لَقَدْ نَفَّذْتُ نَصِيحَتَكَ لِى .
اِسْتَرَحْتُ مِنْ عَناءِ الْعَمَلِ .
كَيْفَ أَعُودُ إِلَيْهِ فِى غَدٍ ؟
سَأَظَلُّ مُتَمارِضًا بِضْعَةَ أَيّامٍ .
اَلْحارِسُ لَمْ يَشُكَّ فِى أَمْرِى .
لِماذا غَيَّرْتَ رَأْيَكَ مَعِى ؟
صارِحْنِى بِحَقِيقَةِ ما فِى نَفْسِكَ .
لا تُخْفِ عَنِّى أَىَّ شَىْءٍ ! »

اَلْحِمارُ قالَ لِصاحِبِهِ الثَّوْرِ : « لَقَدْ عَرَّضْتُكَ لِلْأَذَى وَالْهَلاكِ وَسُوءِ الْمَصِيرِ .
أَنا قَصَدْتُ مَصْلَحَتَكَ ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَنْفَعَكَ ؛ وَلٰكِنْ حَدَثَ الْعَكْسُ ! »
اَلثَّوْرُ قالَ : « كَيْفَ تَقُولُ لِى ذٰلِكَ ، وَأَنْتَ أَرَحْتَنِى مِنَ الْعَمَلِ الْمُضْنِى ؟ »
اَلْحِمارُ قالَ : « سَمِعْتُ صاحِبَ الْمَزْرَعَةِ يَتَكَلَّمُ مَعَ الْحارِسِ فِى شَأْنِكَ .
سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ : عَلَيْكَ أَنْ تَفْحَصَ حالَةَ الثَّوْرِ ، وَأَنْ تَتَبَيَّنَ أَمْرَهُ .
إِذا وَجَدْتَ الثَّوْرَ - عَلَى حالِهِ - مَرِيضًا غَدًا : فَأَحْضِرْ لَهُ الْجَزّارَ ، عَلَى الْفَوْرِ .
خَيْرٌ لَنا أَنْ نَذْبَحَهُ ، لِكَىْ نَنْتَفِعَ بِهِ ، قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ مَرَضُهُ ، وَيَهْلِكَ ! »



اَلْعَوْدَةُ إِلَى الْعَمَلِ

اِرْتَعَبَ الثَّوْرُ مِمَّا سَمِعَ

أَقْبَلَ عَلَى الْحِمارِ يَقُولُ لَهُ :

« هَلْ يُنَفِّذُ الحارِسُ الأَمْرَ ؟

هَلْ يَدْعُو الجَزَّارَ لِذَبْحِي ؟ »

اَلْحِمارُ قالَ لِصاحِبِهِ الثَّوْرِ :

« نَعَمْ ، إِذا وَجَدَكَ غَدًا مَرِيضًا .

إِذا لَمْ تَخْرُجْ مَعَهُ إِلَى الْعَمَلِ :

هَلْ يُخالِفُ صاحِبَ الْمَزْرَعَةِ ؟

إِنَّهُ صاحِبُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

كَلامُهُ مَسْمُوعٌ دائِمًا لا يُرَدُّ . »

اَلثَّوْرُ قالَ لِصاحِبِهِ الْحِمارِ : « أَفِدْنِي بِرَأْيِكَ . بِماذا تَنْصَحُ لِي أَنْ أَفْعَلَ ؟ »

اَلْحِمارُ قالَ لِصاحِبِهِ الثَّوْرِ : « عَلَيْكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى سابِقِ عَهْدِكَ ، كَما كُنْتَ .

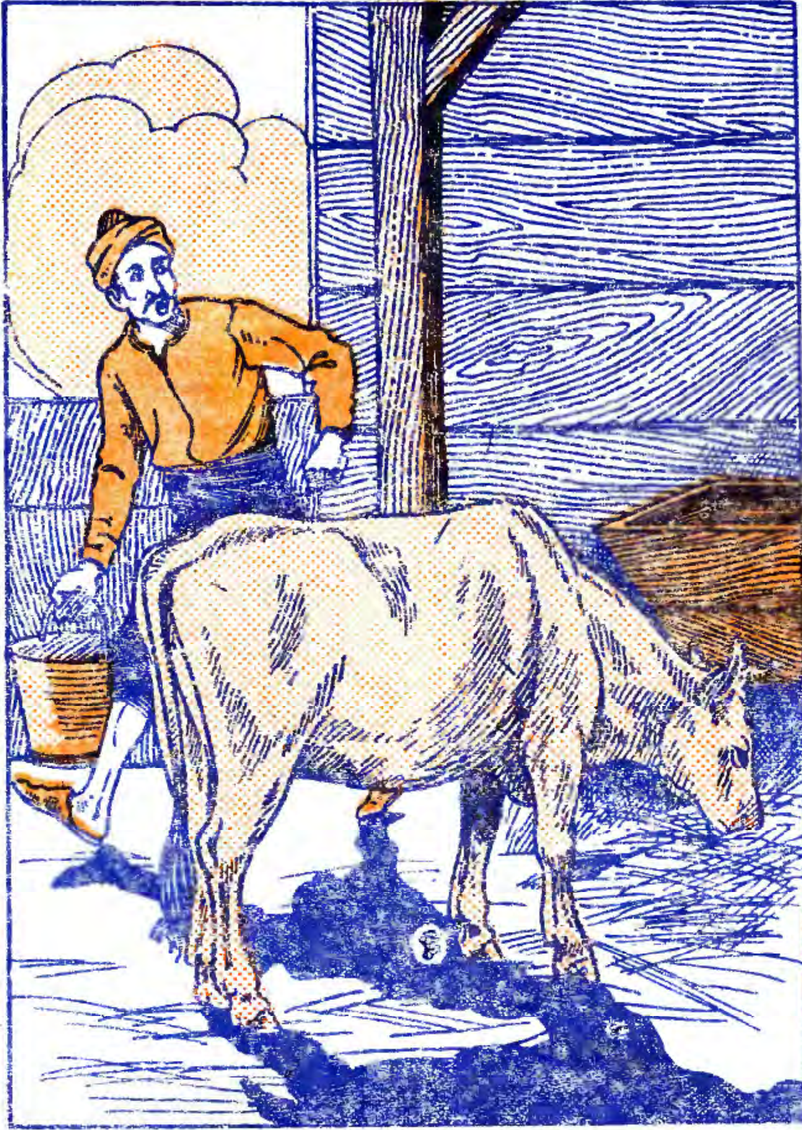
عَلَيْكَ أَنْ تُقْبِلَ عَلَى الطَّعامِ الْمُقَدَّمِ لَكَ بِشَهِيَّةٍ ، كَما كانَتْ حالُكَ مِنْ قَبْلُ .

حِينَما يَأْتِي الْحارِسُ إِلَيْكَ صَباحَ غَدٍ ، عَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ مَعَهُ إِلَى عَمَلِكَ فِي نَشاطٍ . »

اَلثَّوْرُ قالَ لِصاحِبِهِ الْحِمارِ : « إِذا لَمْ أَفْعَلْ ذٰلِكَ ، ساقَنِي الْحارِسُ إِلَى الْجَزّارِ !

اَلْحَياةُ عَزِيزَةٌ عَلَيَّ وَالْعُمْرُ غالٍ عِنْدِي ، وَيَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَحْمِيَ حَياتِي مِنَ الْخَطَرِ .

لَوْ حَضَرَ الْحارِسُ عِنْدِي الآنَ ، لَقُمْتُ مَعَهُ فَوْرًا لِلْعَمَلِ ، فِي اللَّيْلِ ! »



١٠

السِّرُّ الْمَكْتُومُ

حَضَرَ الْحارِسُ في الصَّباحِ .
وَجَدَ الثَّوْرَ يَلْتَهِمُ طَعامَهُ .
لَمْ يُبْقِ مِنْهُ إِلّا الْقَليلَ .
اَلثَّوْرُ أَظْهَرَ لِلْحارِسِ نَشاطَهُ .
قامَ إِلَيْهِ عَلى الْفَوْرِ حينَ رَآهُ .
خَرَجَ مَعَهُ إِلى الطّاحونِ .
أَدارَ الطّاحونَ بِكُلِّ قُوَّتِهِ .
عَجِبَ الْحارِسُ مِنْ أَمْرِهِ .
ذَهَبَ إِلى صاحِبِ الْمَزْرَعَةِ .
قَصَّ عَلَيْهِ شَأْنَ الثَّوْرِ النَّشيطِ .

فَرِحَ صاحِبُ الْمَزْرَعَةِ « عَمّارٌ » ، بِنَجاحِ حيلَتِهِ الَّتي اتَّخَذَها مَعَ ذٰلِكَ الْحِمارِ .
اِطْمَأَنَّ الْحِمارُ بِأَنَّ الثَّوْرَ اسْتَمَعَ لِنَصيحَتِهِ ، وَرَجَعَ – في هِمَّةٍ – إِلى سابِقِ عَمَلِهِ .
« عَمّارٌ » جَلَسَ في الْبَيْتِ مَعَ زَوْجَتِهِ « أَنْوارَ » ، يَقُصُّ عَلَيْها حِكايَةَ الثَّوْرِ والْحِمارِ .
« أَنْوارُ » أَظْهَرَتْ لِزَوْجِها « عَمّارٍ » أَنَّها مُشْفِقَةٌ عَلَى الثَّوْرِ الَّذي يُدَوِّرُ الطّاحونَ .
طَلَبَتْ مِنْ « عَمّارٍ » أَنْ يَرْفُقَ بِهِ في الْعَمَلِ ، فَوَعَدَها بِتَحْقيقِ ما طَلَبَتْهُ مِنْهُ .
سَأَلَتْهُ : « بِأَيَّةِ وَسيلَةٍ اسْتَطَعْتَ مَعْرِفَةَ حيلَةِ الثَّوْرِ ، حينَ تَظاهَرَ بِأَنَّهُ مَريضٌ ؟ »
أَجابَها « عَمّارٌ » : « هٰذا سِرٌّ مِنَ الْأَسْرارِ ، لا أُطْلِعُكِ عَلَيْهِ يا « أَنْوارُ » . »



مَزْرَعَةُ الدَّواجِنِ

« أَنْوارُ » عاتِبَةٌ عَلَى زَوْجِها .
لِماذا هُوَ يُخْفِي عَنْها السِّرَّ ؟
لِماذا لا تَعْرِفُ حَقِيقَتَهُ مِنْهُ ؟
إِنَّها تَتَطَلَّعُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ .
لَمْ يَرْضَ أَنْ يُطْلِعَها عَلَيْهِ .
إِنَّهُ مُصِرٌّ عَلَى الْكِتْمانِ !
فِي الْغَدِ ، لَمْ تَخْرُجْ « أَنْوارُ » .
لَزِمَتْ حُجْرَتَها طُولَ النَّهارِ .
أَبَتْ أَنْ تُغادِرَ الدَّارَ .
لَمْ يَعْلَمْ بِذٰلِكَ « عَمَّارٌ » .

« أَنْوارُ » قالَتْ لِنَفْسِها : « لِماذا يَتْرُكُنِي زَوْجِي فِي حَيْرَةٍ وَاشْتِغالِ بالٍ ؟
لِماذا يَكْتُمُ عَنِّي حَقِيقَةَ هٰذا الْأَمْرِ ؟ أَلَسْتُ أَنا أَهْلًا لِحِفْظِ السِّرِّ ؟ »
كانَ فِي حَدِيقَةِ بَيْتِ « عَمَّارٍ » مَزْرَعَةُ دَواجِنَ واسِعَةُ الْأَرْجاءِ .
فِي مَزْرَعَةِ الدَّواجِنِ الْواسِعَةِ ، يَمْرَحُ دِيكٌ واحِدٌ وَخَمْسُونَ دَجاجَةً .
« أَنْوارُ » هِيَ الْمُخْتَصَّةُ بِالْعِنايَةِ بِمَزْرَعَةِ الدَّواجِنِ ، وَالْإِشْرافِ عَلَيْها .
فِي صَباحِ هٰذا الْيَوْمِ ، لَمْ تَخْرُجْ « أَنْوارُ » إِلَى مَزْرَعَةِ الدَّواجِنِ ، كَعادَتِها .
ظَلَّ الدِّيكُ مَعَ الدَّجاجِ يَنْتَظِرُونَ أَنْ تَحْضُرَ « أَنْوارُ » ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْها .



١٤

اَلْبَحْثُ عَنْ «أَنْوَارَ»

«عَمَّارٌ» تَعَجَّبَ مِمَّا حَدَثَ .
«أَنْوَارُ» فِي الْبَيْتِ مُعْتَكِفَةٌ .
لَزِمَتْ حُجْرَتَهَا ، فَلَمْ تَخْرُجْ .
بَعَثَ إِلَيْهَا ، يَطْلُبُ حُضُورَهَا .
أَرْسَلَتْ تَقُولُ : إِنَّهَا مُعْتَذِرَةٌ .
فَكَّرَ فِي مَزْرَعَةِ الدَّوَاجِنِ :
مَنْ يَرْعَى شَأْنَهَا الْيَوْمَ ؟
لا يَتْرُكُهَا دُونَ رِعَايَةٍ .
لا بُدَّ مِنَ الذَّهَابِ إِلَيْهَا .
مَنْ يَقُومُ بِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ ؟

«عَمَّارٌ» لَمْ يَشَأْ أَنْ يُرْسِلَ أَحَدًا غَيْرَهُ إِلَى مَزْرَعَةِ الدَّوَاجِنِ ، لِكَيْ يَرْعَاهَا .
لَمَّا ذَهَبَ إِلَى الْمَزْرَعَةِ ، وَجَدَ دِيكَ الدَّجَاجِ ، يَنْقُرُ بَعْضَ الدَّجَاجَاتِ .
لاحَظَ «عَمَّارٌ» أَنَّ الدِّيكَ يَنْقُرُ تِلْكَ الدَّجَاجَاتِ ، مَرَّاتٍ ، بِلا سَبَبٍ !
«عَمَّارٌ» سَمِعَ دِيكَ الدَّجَاجِ ، يَقُولُ لِلْكَلْبِ «سَبُعِ اللَّيْلِ» بِجَانِبِهِ :
«انْتَظَرْنَا «أَنْوَارَ» طَوِيلًا ، فَلَمْ نَرَهَا . اِذْهَبْ لِتَعْرِفَ : لِماذَا لَمْ تَحْضُرْ ؟»
ذَهَبَ «سَبُعُ اللَّيْلِ» ، وَرَجَعَ يَقُولُ : «هِيَ فِي حُجْرَتِهَا ، لَمْ تَخْرُجْ مِنْهَا .»
دِيكُ الدَّجَاجِ أَخَذَ يَنْقُرُ الدَّجَاجَاتِ ، فِي قَسْوَةٍ وَعُنْفٍ ، واحِدَةً بَعْدَ واحِدَةٍ !

سَيْطَرَةُ الدِّيكِ



اَلدِّيكُ قالَ لِـ «سَبْعِ اللَّيْلِ» :
«لِماذا لَزِمَتْ «أَنْوارُ» حُجْرَتَها !
لِماذا لَمْ تَحْضُرْ هُنا كَعادَتِها ؟»
اَلدِّيكُ انْتَفَشَ ، وَهُوَ يَقُولُ :
«أَنا أَرْعَى خَمْسِينَ دَجاجَةً ،
لا تَعْصِي لِي أَيَّ أَمْرٍ .
لا تَغِيبُ واحِدَةٌ عَنِّي
لا بُدَّ أَنْ تَسْتَأْذِنَ مِنِّي .
أَنا أَسْيْطِرُ عَلَيْها كُلِّها .
هِيَ دائِمًا مُطِيعَةٌ لِي !»

اَلْكَلْبُ «سَبْعُ اللَّيْلِ» ـ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ كَلامَ الدِّيكِ ـ قالَ لَهُ ، مُعاتِبًا :
«لِماذا أَنْتَ عَنِيفٌ هٰكَذا ؟ أَراكَ تَنْقُرُ الدَّجاجاتِ دائِمًا ، بِغَيْرِ ذَنْبٍ !
لِماذا لا تَكُونُ لَطِيفًا فِي مُعامَلَتِكَ ، مِثْلَ صاحِبِ الْمَزْرَعَةِ وَزَوْجَتِهِ ؟
أَخْلاقُهُما كَرِيمَةٌ ، لا يَعْتَدِيانِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ إِنْسانٍ أَوْ حَيَوانٍ ، فِي أَيِّ مَكانٍ .»
اَلدِّيكُ الْمُنْتَفِشُ قالَ : «صاحِبُ الْمَزْرَعَةِ لا يُعْجِبُنِي فِي تَصَرُّفاتِهِ الْمُتَهاوِنَةِ .
أَراهُ فِي سُلُوكِهِ لا يُحِبُّ السَّيْطَرَةَ عَلَى أَحَدٍ ، وَلا يُرِيدُ فَرْضَ إِرادَتِهِ بِالْقُوَّةِ !»
«سَبْعُ اللَّيْلِ» قالَ : «اَلْقُوَّةُ لَها مَوْضِعُها ، لا تُسْتَعْمَلُ فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوانِ .»

١٤

الْمُعامَلَةُ بِالْحُسْنَى



الدِّيكُ أَمامَ « سَبُعِ اللَّيْلِ » .

مَشْغُولُ الذِّهْنِ بِالْحَدِيثِ مَعَهُ .

دَجاجَةٌ اقْتَرَبَتْ مِنَ الدِّيكِ .

نَقَرَها الدِّيكُ بِشِدَّةٍ وَقَسْوَةٍ .

صاحَ يَقُولُ لَها ، وَهُوَ غَضْبانُ :

« ماذا جاءَ بِكِ إِلَى هُنا الآنَ ؟

ابْعُدِي عَنِّي ، وَأَنا أَتَكَلَّمُ ! »

ابْتَعَدَتِ الدَّجاجَةُ عَنِ الدِّيكِ .

جَعَلَتْ تُقَرْقِرُ ، وَهِيَ مُتَأَلِّمَةٌ .

رَجَعَتْ إِلَى الدَّجاجِ شاكِيَةً .

« سَبُعُ اللَّيْلِ » قالَ لِدِيكِ الدَّجاجِ ، يَلُومُهُ عَلَى هٰذا التَّصَرُّفِ السَّيِّئِ مِنْهُ :

« لِماذا تَرْضَى لِنَفْسِكَ أَنْ تُعامِلَ دَجاجاتِكَ الْعَزِيزَةَ ، هٰذِهِ الْمُعامَلَةَ الْمُغِيظَةَ ؟

حاوِلْ أَنْ تَتْرُكَ ذٰلِكَ السُّلُوكَ ، وَأَنْ تُعامِلَ الدَّجاجاتِ بِالْحُسْنَى ، وَلا تُعَنِّفَ بِها . »

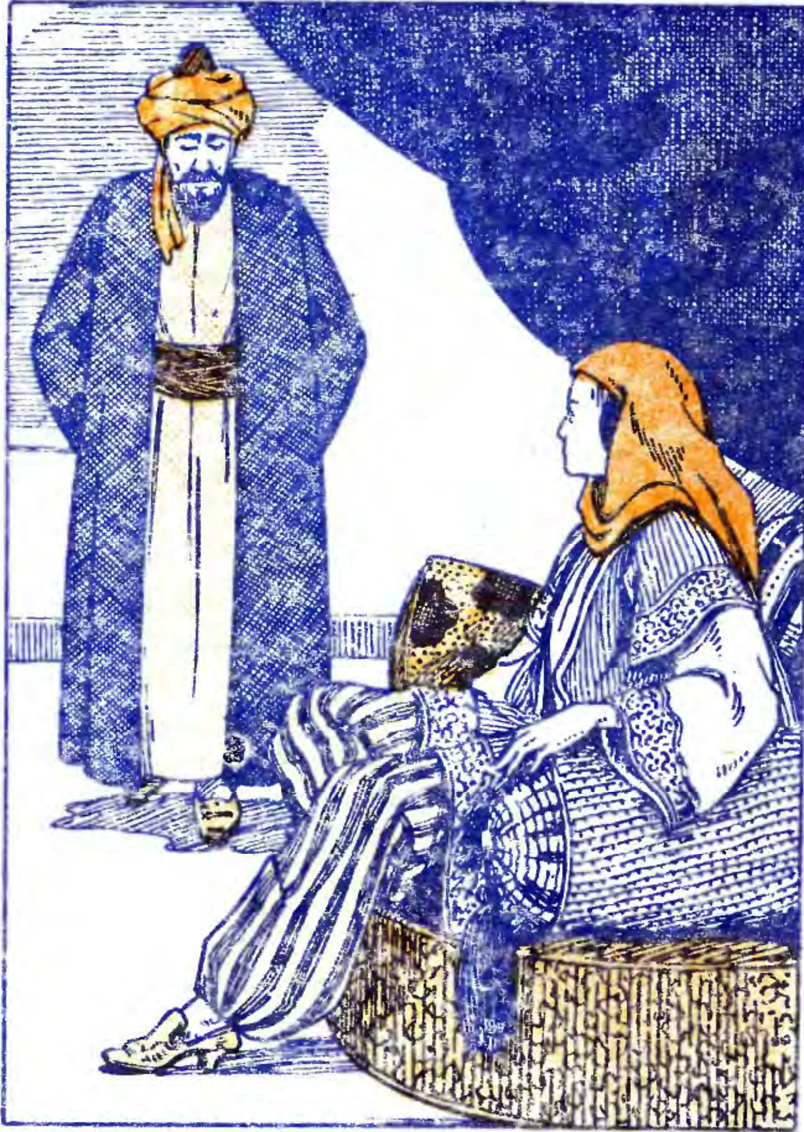
دِيكُ الدَّجاجِ رَدَّ عَلَى « سَبُعِ اللَّيْلِ » بِصَوْتٍ عالٍ ، يَقُولُ لَهُ :

« أَنا لا أَتَسامَحُ فِي مُعامَلاتِي . إِذا غَضِبْتُ مِنْ دَجاجَةٍ ، عاقَبْتُها فِي الْحالِ . »

« سَبُعُ اللَّيْلِ » قالَ لَهُ : « عالِجْ أُمُورَكَ دائِمًا مَعَ مَنْ تُصاحِبُ بِغَيْرِ الْقَسْوَةِ .

الأَفْضَلُ أَنْ تَكُونَ فِي حَياتِكَ لَطِيفًا مَحْبُوبًا ، لا أَنْ تَكُونَ جَبّارًا مَرْهُوبًا . »

الاِحْتِفاظُ بِالسِّرِّ



هٰذا هُوَ ٱلْحَدِيثُ ٱلَّذِي دارَ ،
سَمِعَهُ فِي ٱلْمَزْرَعَةِ « عَمّارٌ » .
فَكَّرَ لَحْظَةً فِي ذٰلِكَ الْحِوارِ .
رَجَعَ بِسُرْعَةٍ إِلَى الدّارِ .
كانَ ٱلْوَقْتُ مُنْتَصَفَ النَّهارِ .
أَقْبَلَ عَلَى حُجْرَةِ « أَنْوارَ » .
وَجَدَها فِي الْحُجْرَةِ جالِسَةً .
قالَ لَها ، وَمَلامِحُهُ عابِسَةٌ :
« أَتُرِيدِينَ أَنْ تَعْرِفِي السِّرَّ :
أَنْ تَعْلَمِي حَقِيقَةَ الأَمْرِ ؟ »

« أَنْوارُ » رَفَعَتْ بَصَرَها تَتَطَلَّعُ إِلَى زَوْجِها « عَمّارٍ » ، وَقالَتْ لَهُ باسِمَةً :
« حَقًّا ، أُرِيدُ أَنْ أَطَّلِعَ مِنْكَ عَلَى ذٰلِكَ السِّرِّ : وَلٰكِنْ لِماذا أَنْتَ عابِسٌ ؟ »
« عَمّارٌ » قَطَّبَ جَبِينَهُ ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ ، وَقالَ لِزَوْجَتِهِ « أَنْوارَ » :
« أَبُوحُ لَكِ بِالسِّرِّ ، إِذا أَصْرَرْتِ عَلَى طَلَبِهِ ، ثُمَّ لا أَدْرِي ما يَحْدُثُ لِي !
اَلسِّرُّ عَرَفْتُهُ مِنْ ساحِرٍ قادِرٍ ! . فَإِنْ بُحْتُ بِهِ ، لا آمَنُ أَنْ يَنالَنِي مَكْرُوهٌ . »
« أَنْوارُ » انْزَعَجَتْ ، وَأَسْرَعَتْ تُمْسِكُ بِكَتِفِ زَوْجِها بِقُوَّةٍ ، وَتَقُولُ لَهُ :
« لا تَبُحْ بِسِرِّكَ . اُكْتُمْهُ عَنِّي ... حَياتُكَ أَغْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِنْدِي ! . »



لُغَةُ الْحَيَوانِ

« أنوارُ » رَضِيَتْ عَنْ « عَمّارٍ » .
عَدَلَتْ عَنْ أنْ تَعْرِفَ الْأسْرارَ .
« عَمّارٌ » قالَ لِزَوْجَتِهِ « أنوارَ » :
« لَيْسَ - فِي الْحَقِيقَةِ - سِرٌّ .
وَكَذٰلِكَ لَيْسَ هُناكَ سِحْرٌ .
سَأَكْشِفُ لَكِ جَلِيَّةَ الْأمْرِ .
الْفَضْلُ فِي ذٰلِكَ لِإعْمالِ الْفِكْرِ .
بِالْعَقْلِ عَرَفْتُ حِيلَةَ هٰذا الثَّوْرِ .
انْتَبِهِي يا « أنوارُ » لِما أقُولُ ،
لِكَيْ يَرْتاحَ بالُكِ الْمَشْغُولُ . »

« أنْوارُ » تَعَجَّبَتْ مِنْ كَلامِ زَوْجِها « عَمّارٍ » ، حِينَ سَمِعَتْهُ ، وَقالَتْ لَهُ :
« أكادُ لا أُصَدِّقُ ما أسْمَعُهُ الْآنَ ! أخْبِرْنِي بِما عِنْدَكَ يا زَوْجِي الْعَزِيزَ . »
« عَمّارٌ » ابْتَسَمَ لِزَوْجَتِهِ ابْتِسامَةً رَقِيقَةً ، وَرَبَّتَ كَتِفَها ، وَقالَ لَها :
« الَّذِي يَسْتَعْمِلُ فِطْنَتَهُ ، وَيُدَقِّقُ مُلاحَظَتَهُ ، يَفْهَمُ الْكَثِيرَ مِمّا يَخْفَى عَلَيْهِ .
مَنْ يُراقِبُ الْحَيَواناتِ وَالطُّيُورَ فِي أصْواتِها ، وَحَرَكاتِها ، وَتَصَرُّفاتِها : يَفْهَمُ لُغاتِها . »
« أنوارُ » أُعْجِبَتْ بِما أرْشَدَها إلَيْهِ زَوْجُها « عَمّارٌ » ، وَقالَتْ لَهُ فَرِحَةً :
« سَأُحاوِلُ أنْ أكُونَ مِثْلَكَ : أفْهَمُ لُغَةَ الْحَيَوانِ ، كَما فَهِمْتُ لُغَةَ الْإنْسانِ . »

(يُجاب - مِمَّا فى هٰذِهِ الحَكاية - عن الأسئلة الآتية) :

١ - لماذا كانت تستفيدُ « شَهْرَزادُ » من حكايات أبيها : « آزادَ » ؟
٢ - ماذا سمِعَ « عمَّارٌ » حين اقترَب من الزَّريبة ؟ وماذا عرَف ؟
٣ - لماذا كان الثَّوْرُ يحسُدُ الحِمارَ على حياته فى المَزْرعةِ ؟
٤ - بماذا وصفَ الثَّورُ حياتَه ، وعملَه ، وطعامَه ؟
٥ - ماذا دار بين الثَّوْرِ والحِمارِ من حِوارٍ ؟ بماذا نصَح له الحِمارُ ؟
٦ - ماذا طلب « عمَّارٌ » من حارسِ المَزرعةِ ؟ وماذا قال الحِمارُ لنفسِه ؟
٧ - بماذا نصَح الحِمارُ للثَّوْرِ ؟
٨ - ما هى الحيلةُ التى لجأ إليها الحِمارُ للخَلاص مِمَّا فيه ؟
٩ - لماذا عزَم الثَّورُ على تنْفيذِ نصيحةِ الحِمار ؟
١٠ - ماذا أظهرت « أنوارُ » لزوجِها « عمَّار » حين أخبرها بنجاحِ حيلتِه ؟
وماذا طلبتْ منه ؟
١١ - ماذا فعلت « أنوارُ » لمَّا أخفَى عنها زوجُها سِرَّ معرفته لحيلةِ الثَّوْرِ ؟
١٢ - ماذا طلب « ديكُ الدَّجاجِ » من الكلبِ « سَبْعِ الليلِ » ؟
وماذا صنع « ديكُ الدَّجاجِ » مع الدَّجاجات ؟
١٣ - ماذا دارَ بيْن الدِّيكِ والكلبِ من حديثٍ حولَ العُنْفِ واللُّطف فى المُعاملة ؟
١٤ - لماذا نقَرَ الدِّيكُ الدَّجاجَةَ ؟ وماذا قالَ له الكلبُ ؟ وبماذا نصَح له ؟
١٥ - لماذا كتَمَ «عمارٌ» السِّرَّ عن زوجَتِه «أنوار» ؟
ولماذا طلبتْ منه ألا يَبُوحَ به ؟
١٦ - ما هى حقيقةُ السِّرِّ الذى كتَمَه «عَمَّارٌ» ؟ وماذا قالت له «أنوارُ» ؟

(رقم الإيداع بدار الكتب ٩١١٠ / ١٩٨٧)

بقلم كامل كيلانى

البيت الجديد
الأرنب العاصى
قاضى الغابة

حبَّة التُّوت
حارسة النَّهْر
بُطولَة سوْسنة



تُطلب من : مطبعة الكيلانى
٢٢ شارع غيط العدة / باب الخلق
المتفرع من شارع حسن الأكبر

مكتبة الكيلا
٢٨ شارع البسـ
بـاب اللـوق